

بدل الاشتراك عن سنة

٨٠ في مصر والسودان

١٢٠ في سائر الممالك الأخرى

عن المدة ١٥ ملياً

الاعقوبات

يتفق عليها مع الإدارة

الرسالة

مجلة أسبوعية للثقافة والعلم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Littéraire

Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها

ورئيس تحريرها المستول

أحمد حسن الزيات

الإدارة

دار الرسالة بشارع السلطان حسين

رقم ٨١ - عابدين - القاهرة

تليفون رقم ٤٣٣٩٠

العدد ٥٤٥ « القاهرة في يوم الإثنين ١٥ ذو الحجة سنة ١٣٦٢ - الموافق ١٣ ديسمبر سنة ١٩٤٣ » السنة الحادية عشرة

بين التزمت والاباحة

في قواعد اللغة

للأستاذ عباس محمود العقاد

قرأت بالرسالة مقال الأستاذ الفاضل الشيخ محمود أبي رية
عن « عبقرية الإمام » .

وإني شاكر له ثناءه على الكتاب وحسن تلخيصه لفصوله
وأعراضه ، ومعقب على ملاحظته الأخيرة في اللغة حيث يقول :

« بقيت أشياء لا بد من ذكرها والإبانة عنها حتى نبلغ من

كلامنا ما نريد . ذلك أني عثرت وأنا أقرأ ببعض ألفاظ كنت

أقف عندها مثل لفظ (يقلاه ص ٤٠) و (حانقين ص ٥٥)

و (فشل ص ٨١ و ٩٦ و ١١٠ و ١٢٦) ؛ وقد رجعت إلى

معاجم اللغة التي بين يدي في اللفظ الأول فوجدته من لغة طبري ،

وإذن يكون استعماله جائزاً . أما اللفظان الآخران فإني أرجع

فيهما إلى الأستاذ العقاد وأسأله : هل يجوز استعمال كلمة فشل في

معنى أخفق وخاب ، وأن يأتي اسم الفاعل من حنق على حائق ؟ »

وجوابي : نعم يجوز أن تأتي باسم الفاعل من حنق على حائق ،

لأنه لا يكون اسم فاعل إلا إذا كان على هذا الوزن

وجوازه ثابت بالنص وثابت بالقياس الذي لا يرد ، وهو في

بعض الأقوال أقوى من النصوص .

الفهرس

- صفحة
- ٩٨١ بين التزمت والاباحة { الأستاذ عباس محمود العقاد ...
في قواعد اللغة ...
- ٩٨٤ ديوان علم الدين المحيوى : الدكتور زكي مبارك ...
- ٩٨٧ سور من توفيق الحكيم { الأستاذ دريبي خنية ...
كتابه « زهرة العمر » ...
- ٩٩١ جامع أحمد ابن طولون ... : الأستاذ أحمد رمزي بك ...
- ٩٩٣ شاعر ومنجم ... : الأستاذ محمود عزت مرفة ...
- ٩٩٥ من حضارة الاسلام { الأستاذ محمد عبد الفتى حسن
دور النخب العربية ...
- ٩٩٨ من الشعر الحر : الحديثة البيت { الأستاذ خليل شيبوب ...
والنصر البالي [قصيدة]
- ٩٩٩ صديق هام ... [قصة] { للكاتب الروسي أنطون تشيكوف
بقلم الأدب صلاح الدين التهامي

فالزغشري في كتابه «المفصل» يقول في باب الصفة المشبهة: «وهي تدل على معنى ثابت. فإن قصد الحدوث قيل هو حاسن الآن أو غدا وكارم وطائل، ومنه قوله تعالى وضائق به صدرك... الخ»

وجراه موفق الدين بن يعيش شارح المفصل كما جراه في هذا الحكم جلة النحاة

فإذا صح في (كرم) التي تدل على الثبوت أن يقال كارم للدلالة على الحدوث، فذلك أصح وأولى في حق التي ليس فيها معنى من معاني الثبوت

بل إذا كانت كلمة غداً أو الآن لا تكن للدلالة على الحدوث ولا تنفي عن الأتيان باسم الفاعل على صيغته الشائعة، فن الحق ألا نستغنى عن هذه الصيغة حين لا تفتن بلفظ يعين الحدوث في الحال أو الاستقبال

على أننا نفرض أن النصوص في كتب النحو لا تقرر هذه القاعدة ولا تثبتها على الوجه الصريح الذي قدمناه

بل نفرض أن النصوص قد وردت بمنع «حائق» وما شابهها وجزمت بخطئها على طريقة النحاة أحياناً في تخطئة بعض الصيغ والأوزان، فن الواجب في هذه الحالة على خدام اللغة العربية أن يخالف النحاة ويخالف السماع الناقص تكلمة له بالقياس الصحيح الذي لا يحيد عنه

إذ ليس من حق لغة من اللغات أن تضطر كاتباً بها إلى الأخطاء في معناه

وليس من حق لغة من اللغات أن تبطل الفارق بين معنيين مختلفين ثم تمنعنا أن ننشئ هذا الفارق لضرورة الصدق في التعبير

فهناك فارق بين من يحنق من حادث يعرض له وبين من يلازمه الحنق في طباعه وأخلاقه

فإذا قلت عن رجل إنه «حنق» وعנית به أنه دائم الحنق كما تدوم الصفات المشبهة؛ فن الواجب أن أقول: «هو حائق من كذا»، إذا كان الحنق يفارقه بعد ذلك، ولا يلازمه في طباعه وأخلاقه

وإذا قلت إنه «حنق» وعנית به ما نعتى باسم الفاعل وجب أن نقول شيئاً آخر إذا عנית أنه متصف بطبع الحنق في عامة أوقاته وليس في وسع لغة ولا في وسع اللغات جميعاً أن تفرض على كتابها الخطأ واللبس في التعبير، ثم تصدحهم عن تصحيح الخطأ وجلاء اللبس بتصرف لا يخرج بهم عن قياسها ولا يحل بأصولها المرعية في أعم ألفاظها

فالنص يحجز الصيغة والقياس يوجبها عند منع النص وهو بحمد الله غير مانع

وإننا لخلقاء أن نغبط أنفسنا على أن اللغة العربية «منطقية» في إجراء القواعد على الأوزان حيث تتشابه المعاني وتتخالف أوزان ألفاظها

فقد يحمل الشيء على غيره في المعنى فيجمع بكلمته. وانظر مثلاً ما ذا بلغ من هذه النزعة «المنطقية» في أوزان الجوع وهي التي لا تجري على وزن واحد كصيغة اسم الفاعل؛ فليس في اللغة «هليك» بمعنى هالك ولا جريب بمعنى أجرب أو جربان أو جرب، ولكنهم يقولون هلكي وجربي قياساً على قتلي وجرحي ولدغي، لأنها جميعاً تدل على داء أو بلاء، وهذا هو منطق النحو العربي الذي ينطلق أحياناً مع المعاني ولا يتحجر أبداً مع الحروف

أما «فشل» بمعنى أخفق فلها حكم آخر. فهذه الكلمة من الاستعمال الحديث الذي شاع حتى غطى على معنى الكلمة القديم، مع تقارب المعنيين حتى ليجوز أن يحمل أحدهما قصد الآخر، لأن التراخي والضعف والخواء قريبة كلها من الجبوت والإخفاق وتجدد المعاني على حسب المصور سنة لا تحيد عنها لغة من اللغات، وفي مقدمتها اللغة العربية

فلو أننا أخذنا ألف كلمة من المعجم وتعقبنا معانيها في المصور المختلفة لما وجدنا خمسين أو ستين منها ثابتة على معنى واحد في جميع المصور

وربما غلب المعنى الجديد وبطل المعنى القديم وهو أصيل في عدة كلمات

خذ مثلاً كلني الجديد والقديم، وكيف ظهرا، ثم كيف

فلا ضير من تضمين الكلمة هذا المعنى بعد أن أخذته باستعارة مقولة ، وكسبته بالاستعمال المتفق عليه بيننا

ولكننا إذا جعلنا العرب في عصر «قيس وليبي» يستمرون هذا المعنى ، وهم لم يستمروه ، فذلك خطأ في التاريخ وليس بخطأ في اللغة وكفى

والاعتراف « بالتطور » في المعاني والاستعارات لا يقتضي أن نخالف الحقيقة التاريخية

على أنني حين استعملت كلمة فشل لم أكد أخرج بها عما اصطلح عليه الأولون

قلت : « يحاول الغلبة من حيث فشل » ، ولو جعلت فشل هنا بمعنى ضعف لكانت مقابلة للغلبة أحسن مقابلة

وقلت : « ولا طائل في البحث عن علة هذا الخذلان الصريح ، أكان هو الطمع في الملك بعد فشل على ، أم النعمة على الأشر » . فلو أنك قلت بعد « ضعف » على لاستقام هنا التعبيران القديم والحديث

وكذلك قولنا : « مُنى بالفشل لأنه عمل بغير ما أشار به أصحابه الدهاة » ؛ فإن التعبيرين فيه يتلاقيان

كذلك قولنا : « ولكنها خطة سلبية لا يمتحن بها رأى ولا عمل ، ولا ترتبط بها تجربة ولا فشل »

فليس المزمع قديم أن ينكر موقع هذه الكلمة في حيث وضعناها من هذه العبارات كلها ، وإن كنا مع هذا لا نحرم إطلاقها على معنى الإخفاق الذي لا يحتتمل تأويلاً بمعنى آخر ؛ وكل ما ننكره أن تأتي بكلمة « فشل » فتطلقها على معنى القوة والنجاح ، أو معنى يناقض الضعف والتراخي المقصودين بها قديماً ؛ أو أن تأتي بهذه الكلمة فتضعها على لسان علي بن أبي طالب ، أو رجل في زمان سابق لزماننا الذي أعارها ما نفهمه منها الآن على الشيوع والتواتر

وليس الخطأ في تجديد المعاني على حسب المصور ، لأنه سنة لم تقلت منها كلمة في لغة من اللغات إلا وهي على موعد من تجديد يأتي بعد حين

إنما الخطأ هو إنكار هذه الحقيقة ، وهي تصادفنا في كل ما نقرأ ونكتب بالعربية وبغير العربية

ونحن على طريق السلامة ما أبجنا مبصرين وزمنا مبصرين ، وحينئذ لا نكون إباحيين ولا مترهتين ؛ بل نجرى على السواء الذي نسلكه مهتدين عباس محمد العقاد

نحولاً إلى الفرض الذي نعنيه الآن .

فالثوب « الجديد » هو الثوب الذي تُقطع حديثاً من جده فهو جديد أو مجدود ، وكانوا يقطعون المنسوجات عند شرائها ، كما نقطعها اليوم ، فيسمونها جديدة من أجل ذلك

ثم نسبت كلمة الجديد بمعنى المقطوع فلا ينصرف إليها الدهن الآن إلا بتفسير أو تمين ، وأصبحنا نعبّر بالجدة عن أمور لا تقطع ولا هي من المحسوسات ، فنقول : « المعنى الجديد » والفكر الجديد ، وما شابه هذه الأوصاف

وكانوا يقولون تقدم فلان أى مشى بقدمه ، ثم ضمنوا تقدمه معنى سبقه ، فأصبح السابق هو القديم ، وأصبح الزمن القديم هو الزمن السابق ، كما نفهمه الآن

وقد نسي الناس « كتب البعير » بمعنى قيده ، وأطلقوها اليوم على الخط في الورق ، وهو في الأصل يستعار من التقييد ونسي الناس « خجل البعير » بمعنى تحير واضطرب ، وأصبحوا يستعملونها « للحياء » الذي شبه بالخجل ، لأنه يدعو إلى الحيرة والاضطراب

وكل أولئك لا ضير منه على اللغة كما رأينا ، بل هو مادة إنشاء وإبتكار وتنويع

والأستاذ الفاضل « أبو رية » يأخذ بالشيوع قاصداً أو غير قاصد حين يقول « المعاجم » ، وهي جمع معجم بضم الميم ، والمعجمات هي الجمع الذي يرتضيه المترمون ولا يرتضون غيره

إلا أنني هنا أنكر الإباحية العمياء ، كما أنكر التزمّت الأعمى وعندى أنه لا يصح إلا ما أمكن أن ينطوى في قاعدة من القواعد المعروفة ، أو أن يؤدي المعنى أداء لا يناقض العقل والقياس ومن أمثلة ذلك أنني كنت أشهد منذ أيام رواية « قيس وليبي » للشاعر المجيد غزير أباطة بك ، فأعجبت بسلامة اللغة وصحة العبارة ، ولكنني لاحظت أنه استعمل كلمة « تضحية » بمعنى فداء أو خسارة ، كما نستعملها نحن الآن

والتضحية عند العرب هي ذبح الشاة أو غيرها في وقت الضحى ثم أخذت معنى الفداء أو القران ، لأن الناس ينحرون ذبائحهم في الضحى يوم عيد النحر الذي عرف من أجل ذلك بعيد التضحية

فإذا كنا نحن المتكلمين — ونعني أبناء العصر الحاضر —